نزار قباني

أنا رجل واحد...
وأنت قبيلة من النساء (١)

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر
ت: ٢٥١٤٢٩٥٥

رقم الإيداع: ١٧٠٨٧ / ٢٠١١

القصيدةُ تولدُ من أصبعها

١

وُلِدتُ . .

في الواحد والعشرين من آذار .

في ذلك اليومِ المزاجيِّ الذي.. تراهقُ الأرضُ به

وتحبلُ الأشجارْ . . .

٢

ماذا جرى في ليلةِ الواحدِ والعشرين من آذار .

فحرَّك الدموعَ والأشجان

ومالأمي قد بدت شاحبة ؟

وابتلعت صراخَها .

ومزقتْ فراشَها .

واستنجدت بمريمَ العذراء،في مخاضِها

وسورةِ الرحمن .

لا أحدَ أجابني . .

لكنني أحسستُ أن امرأة في بيتنا
كانت تعيشُ حالة ابتكار . . .

٣

ولدتُ في برج الحَمَل.
برج المجانين الذين قرروا
أن يسرقو من السماء النار . . .

٤

خرجتُ من محارتي
مضرَّجا كالسمكه . .
وفي يدي طبشورةٌ تبحثُ عن جدار . .

٥

هوايةُ التكسير . . كانت مهنتي .
وشهوةُ الخروج من
عباءةِ الأخوالِ والأعمامْ . . .

٦

يومَ اشتروا لي قلما . . ودفترًا

قررتُ أن أكونَ من عائلة البروق . .
لا عائلةَ الأحجارْ . .

٧

وُلدت . .
في الواحدِ والعشرين من آذار .
وكنتُ في طفولتي
ـ كما تقولُ جارةٌ قديمةٌ في حينا ـ
مُستنفرا للعشقِ . . مثل الديك . .
كانت مهنتي
أن أجمعَ النساء في قارورةٍ . .
وأجمع الأزهارْ . . .

٨

وعندما جاء أبي
في آخرِ النهار
قال لأمي ضاحكا :
(استبشري يا فائزه) . .

هذا الذي أنجبته

ليس بطفل أبدًا . .

لكنه اعصار . . .

٩

حليب أمي . . كان حِبرا أبيضا

وثديها علمني صناعةَ الفخار.

١٠

وُلدت في دمشق .

بينَ خصاصِ الفل . .

والخبيزةِ الخضراء . .

والنرجسِ . .

والأضاليا . .

ولم يزلْ في لغتي

شيءٌ من القرفةِ ، الكمونِ ، والبهارْ . . .

١١

مسقطُ رأسي في دمشقَ الشام .

حيثُ البيوتِ امرأةٌ عارية
على بياضْي نهدِها . .
تراهقُ الأنهار . .
معجزةٌ أن يولدَ الإنسانُ في مدينة
ترمي على أكتافه
في الصيف ، آلافا من الأقمارْ . . .

١٢

ما كان عندي أبدا مشكلهْ
فكل شيء هاهنا،وجدتُه مُلَحَّنا
الأرضُ ، والسماءُ ، والحقولُ ،
والطيورُ ، والرياحُ ، والأمطارْ .

١٣

كيف أقولُ : إنني وُلدت ؟
ولم أزل في بطنِ أمي جالسا
كفرخةٍ مذبوحة . .
منتظرا أن يأخذو أمي

إلى طاولةِ الولاده . .

١٤

ولادتي . .
كانت بلا سابقة .
لم يسحب الطبيب رأسي أولا
وانما أعطيته أصابعي . .

١٥

شابت حروفُ القلب ، ياسيدتي
وشابت الأوراقُ والأقلامْ .
ولم أزلْ من ألف . . ألف عام
في غرفةِ الولاده . .
منتظرا ولادتي الأخْرَى ، على يديْك . .
منتظرا . . أن تفتحي الأقفاصَ يا سيدتي . .
كي يخرجَ الحمامْ . . .

***

التلميذ

١

تورطتُ في الحبِّ ، خمسين عاما
ولا زلت أجهلُ ما ذا يدورُ برأسِ النساء
وكيف يفكرْن..
كيف يخططْنَ.. كيف يرتبْنَ أشياءَهن..
وكيف يدربْن أثداءَهن..
على الكرِّ ، والفرِّ..
والغزوِ ، والسلبِ..
والسِّلم ، والحرب..
والموتِ في ساحةِ الكبرياءْ.

٢

قرأتُ كتابَ الأنوثهْ،
حرفًا فحرفًا.
ولم أتعلمْ - إلى الآن-
شيئا من الأبجديهْ.

ولا زلت أشعُر أني أحبُّك
في زمنِ الجاهليه..
وألثم حِناءَ شعرِك
بالطرقِ الجاهليهْ
ولا زلت أشعر أن الهوى في بلادِ العروبةِ
ليس سوى غزوةٍ جاهليهْ !!.

٣

قضيتُ بشارعِ نهديْكِ..
نصفَ حياتي
وما زلت أجهلُ من أينَ بابُ الخروج؟
وأينَ نهاياتُ هذا الفضاء؟
وما زلت أجهلُ كيف يهددُ نَهْدُ
بسنِّ الطفولةِ
أمنَ الرجال..
وأمنَ السماءْ !!.

٤

تنقلتُ بينَ قواريرِ عطرِك
خمسينَ عاما.
وبين بساتينِ شَعرِك
خمسينَ عاما.
وبين تقاسيمِ خصرِك
خمسينَ عاما.
وما زلتُ أجهلُ كيف أفكَّ حروفَ الهجاء؟.
وكيف أفكُّ الضفائرَ..
كيف أشيلُ الدبابيسَ منها
إذا ساعةِ الحسم دقَّتْ...
وفاضتْ دموعُ الشتاءْ...

٥

تورطتُ فيكِ..
عميقًا..عميقا..
إلى أن وصلتُ لحالِ التجلِّي .
وحالِ التماهي .

وحالَ الحلول .
وحالَ الفناء .
وما زلتُ أجهلُ ما الفرق
ما بينَ رائحةِ الجسدِ الأنثويِّ
ورائحةِ الكستناءْ . .

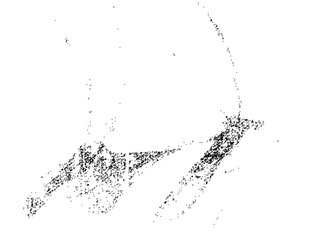
٦

دخلتُ لمدرسةِ العشقِ
خمسينَ عاما
ومنها خرجتُ بخُفَيْ حِنين . .
أخذتُ بدرسِ التصوفِ صفرا .
ولكنني . . .
ما توقفت إلا بدرس الجنونْ .

٧

لبست النساءَ عليَّ قميصًا
و كنتُ أظن قميصي حريرًا
وحين أتى البردُ والزمهرير

تأكدت أني لبستُ العراءْ . . .



***

مائيات

بعينيْكِ . .
يبدأ تاريخُ نهرِ الفراتْ.
ويبدأحزني الجميلُ الذي
يتكلمُ سبعَ لغات . .
ويبدأ عشقي العظيمُ الذي
يتسلقُ جدرانَ نهديْكِ مثلَ النبات . . .

ويبدأ عصرٌ من الشِّعْر
تأخذُ فيه القصيدةُ شكلَ الصلاهْ .
وتطلع منك بساتينُ نخلٍ .
وتطلع منك نوافيرُ المياهْ .
ويطلعُ منك النبيذُ . .

وقمحٌ . .
وقطنٌ . .
ومانغو . .
وتطلع من تحت سُرَّتِك المعجزاتْ ! !

بعينيك . .
تُفتح ليلا ، على الله ،
كلُّ جسور الفراتْ .
وتأتي قلوعٌ .
وتمضي قلوعٌ .
وبالضوءِ تغتسلُ الكائناتْ .
أحبُّك . . حتى التناثرِ
يا امرأةٌ . .
لا تحيطُ بكلِّ تفاصيلِها المفرداتْ . .

أحبُّك قبلَ الأنوثة ،

بعدَ الأنوثة ،
شرقَ الأنوثة ،
يا امرأةٌ لم أرها
ولكنها في جميعِ الجهاتْ . .

فلا تخذليني . .
اذا ما طلبتُ اللجوءَ اليك .
أنا سمكٌ . .
يتخبطُ في كحلكِ العربي
ويبحثُ عن فرصةٍ للحياة .

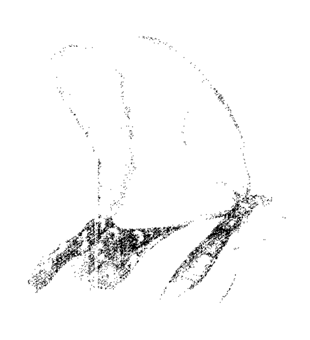
أنا جالسٌ
تحتَ أوراقِ صفصافتيْن
أراقبُ كيف تمرُّ الحضاراتْ
من تحتِ أهدابِك المُسْبِلاتْ .
أحبُّك . .

يا امرأة لا تُسَّمى .
فوقَ التشابيهِ والتسمياتْ .

أنا قابُ نَهديْنَ منك . . .
فاهلا بياقوتةِ العمر .
أهلا بعصفورةِ البحر ،
أهلا بسيدةِ السيداتْ .

سلام . .
على وردِ قفطانِك المغربي
على الخطِّ . . والوشْي . .والنمنماتْ .
دعيني أنامُ على كتفيْك قليلا
فاني أحسُّ بأنك أمي
وأنَك منفَى العصافيرِ والكلماتْ .

سلامٌ على دهشةِ البرق ،



وهو يسافرُ بينَ السوادِ وبين السواد
سلامٌ على ألفِ طفل . .
سيأتون منك . .
ويأتون مني . .
أيا امرأة هي كلُّ انتمائي
وكلُّ الخرائط . .
كلُّ البلاد .

لا أشهدُ أنك
آخرُ بيتٍ من شعر يروَى
وآخرُ مروحةٍ من الحرير
وآخرُ طفلٍ من عائلةِ الياسمين . .
وأشهدُ أنك تختزلين
طبائعَ كلِّ الطيور .
وأسماءَ كلِّ الزهور
وتاريخَ كلِّ النساء . . .

بعينيْك . . .
يلعب طفلٌ جميل
يسمونه في بلادي القمَرْ
أسافرُ ما بينَ صوتِ البيانو
وصوتِ أنوثتِك الطاغية . .
وصوتِ المطر . .
وأدخلُ في غابة من الشموع
فيتبعني حينَ أمشي الشجر . .

لَكِ الشكر . .
يا أمرأة علمتني
جنونَ الهوى
وجنونَ السفر .
لَكِ الشُّكر . .
باسمِ الدراويشِ والفقراء

فمن قمحِ نهديْك . .
يأكلُ نصفُ البشر ! !

بعينيْك . .
تحدثُ كلُّ الأعاجيب ليلا
فلا يعرفُ المرءُ ماذا سيحدث
عندَ هبوطِ المساء . .
ولا يعرفُ المرء
ماذا تريدينَ أنت ؟
وماذا تريدُ السماء ؟

بعينيْك . .
يبدو التنبؤُ صَعبا
فقد تشرقُ الشمسُ حين الشتاء
وقد يهطلُ الثلجُ حين يشاء
وقد يصرخُ الرعدُ ، مثلَ المجانين ،

حينَ يشاء .

بعينيْك . .
ليس هناك ثباتٌ لشيء
وليس هناك يقينٌ بشيء
وليس هناك ضَمان
لمن يجلسونَ على نقطةِ الاستواء . .

بعينيْك . .
يحدثُ ألفُ انقلابٍ خلالَ ثوانٍ
فتمحو الظلالُ الظلالَا
ويمحو الجنوبُ الشمالا
ويلغي الفضاء الفضاء
بعينيك . .
قد يرسل الله منا وسلوى إلينا
ويظهرَ في كلِّ يوم لدينا

نبيٌّ من الأنبياءْ . . .

* * *

فاطمة في هايد بارك

كنت أمشي معها في لندنْ
باحثا عن يدِها . .
عن صوتِها . .
عن خصرِها الضائعِ مني
في ضبابِ العاصمة .
هي كانت مِعطفي
مثلما أنا كنتُ معطفَها
في زمانِ العاصفه . . .

كنت أمشي معها في لندنْ
تحتَ سماءٍ غائمهْ

باحثا عن لغةٍ تشبهني .
باحثا عن قهوة تشربني .
باحثا عن ملجأ
في ثنايا الخصلاتِ الفاحمهْ
ليس عندي وطنٌ أقصده
غير عينيْ فاطمه . . .

هل أنا أكتبُ ؟
أم فاطمةُ تكتبني ؟
إنها جسرٌ من الشعر
على كلِّ العصورِ القادمه . .

كنت أمشي معها في لندن
مثلَ طفلٍ ذاهل
فلماذا في (هارودز) نسيتني ؟
وهي تدري جيدًا

أنني من يوم ميلادي ببحرِ الحبِّ ضائعٌ
وهي تدري أنني من دونها
لا أقطعُ الشارعَ وحدي .
لا ولا أدخلُ في المعطف وحدي .
لا ولا أعرفُ أن أرجع للفندقِ وحدي .
فلماذا تركتني بين أكداسِ هداياها
وحيدا . . وحزينا . . كمصابيح الشوارعْ ؟
وأنا أعبدُها من رأسِها حتى الأَصابعْ . . .

هذه فاطمةُ في (بيكاديللي) .
يصنعُ الكحلُ بعينيها ألوفَ المعجزات .
كلٌّ من شاهدها في جانبي
ظنها صِفصافة
تغسلُ الشعرَ على نهرِ الفرات .

هذه فاطمةُ . .

تقتحمُ التاريخَ من كلِّ الجهات
انها تدخلُ كالإبرةِ
في كلِّ تفاصيلِ حياتي .
آه . . كم تعجبني فاطمة
عندما تجلسُ مثلَ القطة بين المفردات .
تأكلُ الفتحةَ . . والضمةَ . . في شِعْري
وتبتلُّ بأمطارِ دواتي . .

خبئيني . . تحتَ قفطانِك
يا أحلى جميعَ الفاطماتْ .
لندن باردةٌ جدا
واني خائفٌ جدا
فنامي في جفوني ، أو جفونِ الكلمات .
حاولي أن تصبحي أمي
لشهرٍ . . أو ليومٍ . . أو لبعضِ اللحظات

سقطت قبعتي الحمراءُ في الأرضِ
وضاعت كُتبي مني . .
وضاعت أمنياتي .
حاولي . . أن تلديتي مرةً أخرى
أيا أجملَ كلِّ الأمهات
ما الذي يمكن أن أفعلَه من غير أم ؟
في محطاتِ الشتات ؟ ؟ .

علمتني لندنْ
أن أحبَّ الورقَ الأصفر . . واللونَ الرمادي . .
وأن أهربَ من تاريخِ عادٍ وثمود . .
علمتني لندن
أن أرى حريتي دونَ حدود
ونصوصَ الشعر من غيرِ حدود
وطقوسَ الحبِّ من غير حدود
علمتني . . كيف أن امرأةً أعشقهُا

ممكن أن تجعلَ العالمَ من غيرِ حدود . . .

لندن تمطرني ثلجًا
وأبقى باشتهائي بدويًّا . .
لندن تمنحني كلَّ الثقافات
وأبقى بجنوني عربيا . .
لندن تمطرني عَقلا
وأبقى فوضَوِيا . .
فلماذا تكرهين الثلجَ ، يا سيدتي ؟
وأنا قد أحرقَ الثلجُ يديا . .

لا يرانا أحدٌ في لندن
فادخلي في اللحمِ رمحا وثنيا
واتركي لي أي تذكار جميل
وردة . .
أو قبلة . .

أو طعنا في شفتَيَّا . .

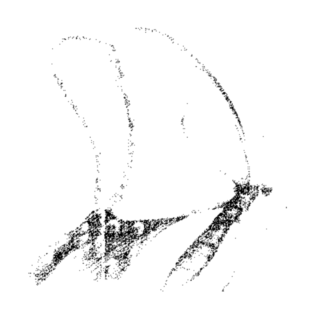
مرحبا . .
يا أيها الوجهُ الجنوبيُّ الذي دوخني
مرحبا يا فاطمة .
لم يرَ الريفُ البريطانيُّ من قبلك
عينينِ تقولان كلاما عربيا . .
فاشربي شيئا من الغَيْمِ معي .
اشربي شيئا من الشِّعرِ معي .
اشربي . . حتى تصيري امرأة . .
واتركي الباقي عليا ! ! . . .

❊ ❊ ❊

عندما أعشق أزداد رقياً

أنت في لندن . . سنجابةُ حُب
تأكلُ السكّرَ . . والفستقَ . .
من بينِ يديَّا .
عرْبشتْ فوقَ قميصي .
عربشتْ فوقَ ضلوعي .
عربشتْ فوقَ عروقي .
واختفت في كنزةِ الصوف التي ألبسها
تجمعُ المشمشَ . . والزعترَ . .والنعناعْ .
والعشبَ الطَّرِيّاَ .

أنتِ في منفاي
سنجابةُ عمري .
وأنا في لندن ، تبهرني حُريتي .
جسدي يبهرُني .
لُغتي تبهرُني .



دَهشتي تدهشُني .
فكأني لم أكن في ذاتِ يومٍ عربيًّا
كلما شاهدني الناسُ صباحًا
خارجا من تحتِ أهدابِك
ظنوني نبيّا ! ! .

إنها تمطرُ فروًا
منذ أيام ، فما أحلى المَطر . . .
انها تمطرُ عِشقا
عَن يميني . . وشمالي .
وورائي . . وأمامي .
وأنا أطفو على
بحرِ رمادي الوبر . . .

من تكونينَ أيا سيدتي ؟
يا التي تحملُ في قفطانِها

عندما تجلسُ قربَ المدفأه
كلَّ تاريخِ الشجر . . .
يا التي حُبي لها
أمرٌ من الله . .
وعيناها قضاءٌ وقدر . . .

أنت سنجابٌ جبان
خائفٌ من نفسِه
خائفٌ من خوفِه
خائفٌ من أي شيءٍ في يدي . .
أو في فمي . .
خائفٌ من كلِّ ما لا يُنتظر . . .

أنت سنجابي الحضاريُّ الذي حررني
من صداعِ الجنسِ في عصرِ الحجر .
تاركا في جسدي

شِعرا . .
ونَثرا . .
وعصافيرَ . .
وقمحًا . .
وثمرا . .
تاركا في داخلي
نصفَ قمر . . .

أنتَ في لندن
سنجابٌ رماديٌّ الفراءِ جاء كي يبني بصدرِي وطنا
بعدما حاصَره ثلجُ الشتاء .
نطَّ من أفقٍ إلى أفق . .
ومن غصنٍ إلى غصن . .
ومن نهرٍ إلى رابيهْ
ثم ألقى عندَ بابي
صرةً من كستناء . . .

أنت سنجابي الذي دَوَّخني
ورماني خاتما
في جواريرِ النساء . . .

قِطتي .
عُصفوري .
سِنجابي .
يا التي أرسلها اللهُ من الغيبِ إليا
أنا ما عندي اعتراضٌ أبدا
فاقضمي حبةً من البندق
ان توحمت . .
اجعليني بين أشيائك
قرطا ذهبيا . . .

العبي بالوقت ، والأعصاب ، يا سيدتي



غيري شعري . . ونثري . .
وجذوري . . وسلالاتي . .
وغوصي خنجرًا في رئتيًّا . .
ادخلي تحتَ قميصي . .
ادخلي تحتَ شرايين يدي . .
ادخلي في لغتي
ادخلي في اللحمِ والأعصاب
سَيْفًا أمويا . .
واغسليني بينابيعِك . . اني
لم أكن قبلَك الا بدويًّا . . .

حرريني . .
من أبي زيدٍ الهلالي الذي يسكنني
ومن الرملِ الذي يطمرني
ومن الشوكِ الذي كان يغطي شفتيا .
ارفعيني إلى فضاءاتك ، يا سيدتي

وانزعي عني قناعِي الجاهليا

علميني . .

كيف بالذهن تُشَمُّ امرأة

كيف يغدو الجنسُ ترتيلا . . وإنشادا . .

ورسما بالأحاسيس . .

وجِسرا قَمريا ! ! .

كلَّ حبٍّ . .

هو - يا سيدتي - فعلُ رقيّ

فأحبيني . .

أَحبيني . .

أَحبيني . .

لأزداد رُقيا ! ! . . .

* * *

أنا رجل واحد..
وأنتِ قبيلة من النساءْ

حبُّكِ..
إشكاليةٌ كبرى
إشكاليةٌ جسديهْ .
وإشكالية لُغوية .
وإشكالية ثـقافِية.
فذراعِي قصيرهْ وأغصانُـك
مثـقلةٌ بالفاكهة..
وأجنحتي مكسورهْ وسماواتُـك مدروزة بالعصافير..
ومفرداتي محدودةٌ وجسدُك أكاديمية مَلَكية
تختـزنُ الشِّعرَ وتبـتكرُ اللغات ..

-٢-

معكِ ..
لاتوجدُ أنصافُ حلول .
ولا أنصافُ مواقـف .

ولاأنصافُ أحاسيس .

كلُّ شيءٍ معك ..

يكونِ زلزالاً أو لايكون..

وكلِّ يوم معك يكون انقلاباً أولايكون ..

وكل قبلـةٍ على فمكْ

تكون جهنـماً ..أو لا تكون!!..

-٣-

هكذا أنا..

منذ احترفـت الحبَّ واحترفـت الكتابة .

لاقصيدةَ تخرجُ من بـينَ أصابعي

إلا وهي ساخنةٌ كرغـيفِ الخبزْ.

ولاامرأة أضعُ عليها يـدي

إلا وتحملُ في بطنِها خمسيـن قمـراً ...

-٤-

معكِ ..

لايوجد طقسٌ معتدل



ولاهـدنةٌ طويـلةٌ ولا حيادٌ مطلق .
فالحيادَ مع امراةٍ مثـلِك
معجونةٍ بلوزِها .. وعسلِها ..
وحليـبِ أنوثـتها ..
وموسيقى أمشاطِها ، وخواتمها..
تَرَفٌ ثـقـافيٌ لاأقـدرُ عليه
وتـنازلٌ سخيفٌ عن صهيلِ رجولتي !!.

-٥-

معكِ..
لايوجد للحبِّ سيناريو واحد .
ولا للجنسِ أسلوبٌ واحدْ.
ولا للذكورِ رائحةٌ واحده
وإنما حروبٌ عبثية لايـنـتصرُ بها أحـدْ.
تـتكسرَ فيها الأساورُ على الأساور ..
والأقـراطُ على الأقـراطْ ..
وقصائـدي ..

على قمةِ نهـدِك المغـطَّى بالثـلوجْ ...

-٦-

معكِ ..
لا يوجد خَطٌّ مستـقـيم .
ولا صراطٌ مستـقـيم .
فأنت عملٌ تجريـديٌّ غامض
يختـلط فيه الأحمرُ ..بالأزرق ..
بالبرتـقاليِّ ..
والشعرَ .. بالنثرِ .. بالنظام ..
بالفوضَى .. بالحضارةِ .. بالـتوحش ..
بالوجوديةِ .. بالصوفـية..

-٧-

معكِ..
يولد الرجلُ بالمصادفهْ
ويموت بالمصادفهْ !!

-٨-

كيف يمكنـني أن أهادن زلـزالاً..

أو طُوفانـاً

أو غابةً إفريقيـةً مشتعِلَه؟

كيف يمكنـني أن أصالح نحلةً

تخططُ لارتـشافِ دمي ؟.

-٩-

كيف يمكنني أن أتـفاهم مع جسدِكْ

وهو لايعرفُ إلا لغـتَـهْ ؟

-١٠-

كيف يمكنني أن أربحَ المعركه

وأنـا رجـلٌ واحـدْ..

وأنتِ قبيـلةٌ مـن الـنـساءْ ؟؟ ..

-١١-

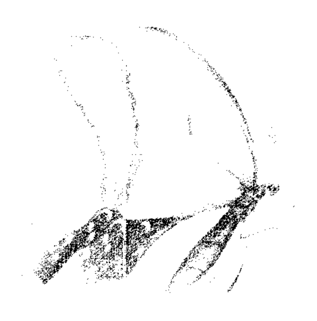
معكِ .. تـتداخلُ الأزمـنةُ بـبعضِها .

والامكـنةُ بـبعضِها .

ونصوص الشعر ببعضها .
فلا أعرفُ من أيـنْ ؟
ولا أعرفُ إلى أيـنْ ؟
ولا يعـنـيـنـي أبـداً أن أستـشـيـرَ النجومْ
أو أن أقـرأَ الخرائطَ .
فالعـاشـقُ الكبـيـر
هو الـذي يـرمي نفسَه في بحرِ العشقْ
بلا بوصلةٍ .. ولا خريطةٍ .. ولا شهادةِ تأميـن ...

-١٢-

ليس لدي مهنةٌ أخـرى
في هذا العـالـمْ
سوى أن أحبـَّك ..
ولو حـدثَ أن توقـفـتُ
من ممارسةِ هـذا الجـنونِ الجمـيـلْ
لأصبحتُ عاطلاً عـن العمـلْ !!



-١٣-

إن الحبَّ عندي هو غـريـزةٌ ولاديـهْ
وليس أبداً عادةً مكتسبهْ ،
أو طبـيعةً ثانـيهْ ..
فإذا رأيتـني ذاتَ صباحْ
أتسلق كـدودةِ الـقـزِّ
على أشجارِ نهـديْـكِ ..
فاعلمي ، أن صناعةَ الحريـرْ
هي جزءٌ لايتجـزأ
من تراثي الدمشـقيِّ ..

-١٤-

لم أعدْ ياحبـيـبتي
قادراً على العشقِ بالتـقسيط ..
ومزمزةِ شفتيـكِ بالتـقـسيط..
وتـقـشيرِ تفاحِ يـديـك ..بالتـقـسيط..
أنـا اليـومَ ، رجـلٌ براغْـمَاتيّ

أؤمن أن المرأةَ النائـمةَ في راحة يـدي
خيرٌ من عشرِ نساءٍ على الشجرهْ
وأن الحوارَ مع جسدِ أفـروديـتْ
أهمُّ من الحوارِ مع جميعِ الملائكهْ!!.

-١٥-

ياسيدتي :
اسمحي لي أن أمارس طفولتي قليلاً
وأضع النقاطَ على حروفِ علاقـتـنا .
فأنا منذُ نزلتُ من بطن القصيـدهْ..
لاأؤمن بالأمورِ الوسط .
لافي الحبِّ .. ولافي الكتابةِ ..
ولافي مغازلـةِ النساءْ..
إن البراغماتـيـةَ في الحبِّ ، هي عقـيـدتي .
وأرفضُ الحكمةَ المأثورة التي تـقـول :
(أجّـلْ عشقَ اليوم إلى نهار غدٍ) .
كيف يمكنني أن أؤجلَ امرأةً أحبُّها

إلى يومٍ آخرْ ؟
إلى شهرٍ آخرْ ؟
إلى عامٍ آخر ؟
إلى عصرٍ آخر ؟
إلى إشعارٍ آخر ؟
فالعيـونُ الكبـيرةُ لاتـؤجَّـلْ ..
والأمطارُ الإستوائية لاتـؤجَّـلْ...
والعواصفَ الرعـديةُ لاتـؤجَّـلْ...
والقصائدُ الاستـثـنائـيـةْ..
لاتُكـتـب إلا مـرةً واحـدهْ ...

***

سأدرس- حتى أحبك-
عشر لغات..

١

أحبك جداً..

و أعرف أن الكلامَ القديم انتهى..

و أن عليَّ الذهاب

إلى ما وراء الكلام..

و أعرفُ..

أن حمامَ الطفولةِ طار بعيداً

ولم يبقَ عندي من القمح

ما يثير فضولَ الحمام..

فلا أنت مثلَ جميع النساء..

ولا أنا .. ممن يقولونَ في الحب

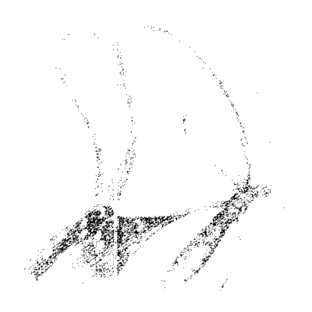
أيَّ كلام..

٢

أحبك جدّاً..

و أعرفُ أني وصلت
إل حائطِ اللغةِ المستحيلهْ..
و أشعرُ أن العبارةَ ضاقتْ عليكِ.
و أن الثقافةَ ضاقت عليك.
و أن البلاغةَ تلهثُ حولَ استدارة خصرِك..
والشعرَ .. والنثرَ .. والمفردات.
٣
أيا امرأة..
تتحدى جميعَ نصوصي..
و أحتاجُ - حتى أكونَ على مستواها-
إلى عشراتِ اللغات...
٤
أحبُّك جدّاً..
و أعرفُ أن الأنوثةَ برق..
و أن القصيدةَ برق..
و أن النساءَ الجميلاتَ .. برق

و أنَّ البروقَ العظيمة..
لا تُستعاد..
٥
أحبُّك جداً..
وأشعرُ في رغبةٍ للخروج
على كلِّ عاداتِنا السابقه..
وتغيير أسمائِنا السابقه..
فهلْ من سبيل
لتحديثِ هذا الغرام ؟.
٦
وهل من سبيل ؟
لتغييرِ جلدي ... وجلدِك ؟
صوتي .. وصوتِك ؟
عمري .. وعمرك ؟
هل مِن سبيل ؟
لتغييرِ لونِ الشراشف ؟



لونِ الشراشف ؟
لونِ العواطف ؟
ما بينَ حينٍ وحين.
وتغيير شكلِ كؤوسِ النبيذ..
وشكل أواني الطعام ؟؟

٧

أحبُّك جدّاً..
و أعرف أن طريقةَ عشقي..
صارتْ عتيقه..
و أن شرايين قلبي..
صارت عَتيقه..
وزرقةَ عيني صارت عتيقه
و أن وصولَ بريدي إليك..
و إرسالَ وردٍ جميل لبيتك
صار طقوساً عتيقه!!

٨

أحبُّك جدّاً..

و أعرفُ أنكِ آخرُ لحظةِ شعر..

و آخر قطرةِ حبر..

و آخر زنبقةٍ فوقَ سور الحديقه

و أشعر في لحظاتِ الحنان المفاجئ

أنك أمي..

و لو كان لي أن أميز

بين الصداقةِ والحبِّ ،

لاخترتُ فيك الصديقه...

٩

أحبك جداً..

و أعرف أن العلاقةَ بين النساءِ وبيني

مقررةٌ من ألوف السنين.

و أن أهم محطاتِ عمري

مطرزةٌ بخيوط (الداماسكو)..

وذاكرة القطنِ .. و (الموسلين)..
فلا تتعري أمامي .. بغيرِ اكتراث
فأني أواجه قشطةَ نهديْك عندَ الصباح
كأني أواجِه جيشاً من الياسمين!!

١٠

أنا منذُ خمسين عاماً.
أحاولُ تأسيس مملكةٍ للنساء..
يثرثرنَ فيها..
و يرقصنَ فيها..
و يعشقنَ فيها..
و يغسلنَ أقدامَهن بماء الحنين.

١١

و ها أنذا راقدٌ في فراشي
فلا من ممرضةٍ أسعفتني.
ولا من دمشقيةٍ قبلتني..
ولا من عراقيةٍ دللتني...

ولا من رفيقٍ..
ولا من أنيسٍ..
ولا من معينْ..
١٢
أحبك جدّاً..
و أعرفُ أن جوازَ المرور
الموقعَ منك..
سيفتح بابَ السماء أمامي.
ويدخلني جنةَ المؤمنين..
١٣
أحبك جدّاً..
و أحلمُ أن تدهشيني بثوبٍ جديد..
وعطرٍ جديد .. وراي جديد..
و أحلمُ أن تمطريني
بنهرٍ طويل .. طويلٍ من الأسئله..
و أحلمُ أن تطلعي من قماشِ الوسادةِ كالسنبله..

أحبُّك جِدًّا..
و أعرفُ أنك لا تعرفين..
و تلك هي المسألة!!

١٤

أيا وردةَ البحرِ ، والضوءِ ، والشمسِ ، والعافيهْ..
يضايقني أن تديري شريطاً قديماً
يضم قصائدي الماضيهْ..
لماذا الحنينُ إلى رجلٍ آخر ؟
وإني أمامَك يا غاليهْ.
وماذا تهمُّك أسماءُ كل الزهور ؟
و أنت البنفسجيةُ الباقيهْ.

١٥

أَنا يا صديقة..
أكره صوتي المسجلَ فوق شريط
وأكره شعري الذي يتناثر بينَ الخليجِ و بينَ المحيط
كنهرِ الرماد..

فأرجوك .. لا تجعلي من حياتي أسطوانهْ..
ولا تذبحيني بسكينِ صوتي
فإني تعبتُ كثيراً .. بهذا الشريطِ المعاد...

١٦

غداً تعلمين..
غداً تعلمين..
بأن الرجالَ أحبوك..
-بعدَ قراءة شعري-
و أني ما كنت في لعبة الحبِّ وحدي
ولكنني كنت حِزباً كبيراً من العاشقين... .

❊❊❊

اختزال

لأني أحبُّك . .
أصبحتِ واحدةً من أهمِّ النساء . .
وأسستِ عصرا جديدا .
ودينًا جديدا .
وأصبحتِ في كتبِ الشعر محفوظة
وفي كتبِ الأنبياء . . .

لأني أحبُّك . .
أصبحتِ ثامنةَ المعجزات
وكنزَ الكنوز . .
وسيدةَ السيدات . .
وأصبح خصرُك معزوفة
من مقامِ البيات . .

لأني أحبُّك . .

أصبحتِ مخزونةً في تراث الشعوب
ومقروءةً في جميع اللغات .
لأني أحبُّك . .
صرتِ كنيسةَ حبي
وأصبحتُ أعرفُ عن ظهرِ قلب
طقوسَ الصلاة . .

لأني أحبُّك . .
يغدو السوادُ بعينيْك ، عند اللقاء
أشدّ سواد . .
وتغدو يداي طيورًا
ويغدو حنيني بلادا .
وأعرفُ اني اذا ما دخلتُ مغارةَ نهديْك يوما
أصيرُ رمادا . . .

لأني أحبُّك . .

يمتلىءُ البحرُ قمحا
ويشتعلُ الأفقُ بالنار والأرجوان
وتبدو شفاهَك من غيرِ عمر
وتبدو هضابُك من غير عمر . .
وتبدو استدارةُ خصرِك من غير عمر . .
فأخلط بين العصورِ وبين الثواني . . .

ليدهشني فيكِ . .
أنك لا تكبرينَ . .
ولا تذبلينَ . .
ولا تنحنينَ ، كما شجر السندِيان . .
ويذهلني . .
أن نهديْك لا يتعبان . .
ولا يلقيان السلاح . .
ولا يخشيان مرورَ الزمان . .

لأني أحبُّك
أرسلتُ روحي إليك
فأنجبتُ مني هلالا .
وأنجبتِ مني غزالا .
وأنجبتِ مني طيورا . .
وديوانَ شعر . .
وأنهارَ ماء . . .

أَيا امرأة . .
يتلاقى الحمامُ الدمشقي فوقَ مياهِ يديها .
ويبدأ فصلُ السفرجل . .
والخوخ . . والتين . .
من شفتيْها . .
يعقدني فيك هذا الهدوءُ الملوكي
هذا الجبينُ الرسولي
هذا الحضورُ الحضاري

هذا المزيجْ العجيب
من الماءِ ، والنارِ ، والكبرياء . . .

لأني أُحبّك . .
أشعر أني تحررتُ من كلِّ شيء
ومزقتُ رسمي القديم
وألغيتُ رسمي القديم
وبعثرت أوراقَ جنسيتي في الهواء
لأني أحبُّك . .
أدركتُ أبعادَ حريتي
وأدركتُ سرَّ العلاقة
بينَ اكتشافِ العيون ،
وبين اكتشافِ الفضاء . .

لأني أحبُّك . أصبحت مكتفيا باكتفائي .
ومقتنعا أن حبَّك أعظمُ حزبٍ دخلت إليه . .

وأرحمُ صدرٍ لجأْتُاليه . .

وأحلى انتهاءْ . .

فماذا تفيدُ الخيانة ؟

حين تكونينَ أنتِ السماء . .

وما قد يكونُ وراءَ السماء . .

وماذا يفيدُ التنقلُ بينَ الخواتمِ من كل لون . .

وبين المليحاتِ من كلِّ جنس . .

وبين الجواري ، وبين الإماء ؟ . .

وماذا يفيد التسكعُ شرقا . . وغربا ؟

وأنت جمعتِ رحيقَ الحضارات فيك .

وأنت اختزلتِ جميعَ النساء . . .

* * *

عشرون محاولةً
لتشكيل امرأة

حان الوقتُ
لأعيدَ صياغتِك على طريقتي
بحبرٍ جديد .
وخطٍّ جديد .
وتنقيطٍ جديد .
حان الوقتُ كي أكتبَك كما أريد .
فجميعُ من كتبوك قَبلي
كانوا يجهلون مبادىءَ الكتابهْ .
وجميعُ من قرأوك قبلي
كانوا يجهلونَ قراءةَ النساء . .
وتهجيةِ أحرفِ الأنوثة . . .

حان الوقتُ

لأغيرَ هندسةَ خصرك . .
وأحجارَ خواتمك . .
ومكانَ الشامات على كتفيك . .
وأفصِّلك على مساحةِ قصائدي
ومساحةِ جنوني . .

حان الوقتُ
لأنحتِك بأسلوبي (النزاري) . .
فأجعلَ هضابَك تتحرك . .
وبحارَك تتموج . .
وسرتَك الخرساءْ . . تتكلم . .
ونهديْك . .
يقرعان كجرسيْنِ نحاسيين
صبيحةَ يومَ الأحد !!

حانَ الوقتُ

لأعلمَك شيئا من الجغرافيا .
وشيئا من الموسيقَى .
وشيئا من الشِّعر . .
فجميعُ من تجولوا في قاراتِك الخمس . .
لم يعرفوا الطريقَ إلى مناجمك الذهبية . .
وقبابِك الفاطمية . .
وأيقوناتِك البيزنطية . .

حان الوقتُ
لأطلعَك على خرائطِ أنوثتِك . .
وأدلك . .
على السهولِ التي يزرعون فيها القطن . .
والوديانِ التي يتكاثرُ فيها الصفصاف . .
والهضابِ التي يتسلق عليها العنب . .
والشواطىءِ التي تتزوجُ فيها الأسماك . .
والعناوينِ السرية التي تسكن فيها

حورياتُ البحر . .

حان الوقتُ
لتعرفي شيئا عن أسماءِ نباتاتك
وطولِ أنهارك .
ورائحةِ أزهارك .
وعددِ حمائمِك .
ومواسمِ لوزِكِ . . وخوخِك . .
وسفرجلِك الجبلي .
وتوقيتِ مدِّك وجَزْرِك
ومواعيدِ أمطارِك الاستوائية . .

حان الوقتُ
لتعرفي شيئا عن العصرِ البرونزي .
والفنِّ الفلورنسي .
والكريستالِ التشيكي .

والخزفِ الصيني .
والغَزَلِ العربي .
حان الوقتُ لتعرفي
إلى أيِّ عصرٍ من هذه العصور البارهة
ينتمي جسدُك الجميل ؟ . .

حان الوقتُ
كي أمحو خطوطَ ذاكرتك
وأحرقَ جميع المراكب
التي جئت بها من العصورِ الوسطى
فليس ورائكِ سوى البحر . .
وليس أمامك . .
سوى ذراعيَّ المفتوحتين . . .

حان الوقتُ
لأمارسَ عليك سحري

فتزدادَ أصابعُك طولا .
ويزداد خصرُك نحولا .
وتزداد عينيك اتساعا .
ويزداد شعرُك حماقةً . . وفوضى . .
وخروجًا على القانون . .

حان لي . .
أن أمدَّ على شرفتِك
جبالَ قصائدي
وأخطفك ـ كما يفعلُ الشراكسة ـ
على حصانِ الشعر . . .

حان الوقتُ
لتخرجي من قنبازِ أبيك .
ومن صندوق أمِّك المطعَّم بالصدف . .
فلم يعدْ مسموحا لك أن تظلي



حكمةً مأثورةً موضوعةً في برواز
أو سمكةً للزينةِ في أكواريوم
أو ثوبا مُعلَّقا
في متحفِ التقاليدِ الشعبية ! ! .

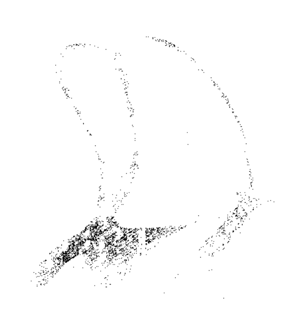
حان الوقتُ
كي أعجنَك بالمسك ، والقرفة ،
والزعفران
وأخلطَك بالسكر ، والعسل ،
وحليبَ العصافير . .
حان الوقتُ كي أعجنك
بلحمِي ، وأعصابي ،
وصراخي ، ونزيفي ،
ومشتقاتِ دمي . .

حان الوقتُ

كي تخرجي من سجنِ النساء
الذي تقضين به
عقوبةَ (الأنوثةِ المؤدَّبة) !!

حان الوقتُ
لتكسري غلافَ شرنقتك
وتغزلي
أولَ خيطٍ من خيوطِ الحرية . .
حان الوقتُ لتأخذي
شكلَ الموجة . .
أو شكلَ السهمِ الناري . .
أو شكلَ السنجابة . .
أو القطةَ المتوحشة . .

حان الوقتُ
لكي أنقذَك من حلقات الدراويش..



وقرقرةَ النراجيل..

وأباريقَ القهوة المرة..

ورائحةَ البخور الهندي..

وطوابيرَ النساء المنتظرات

أمامَ فراشِ شهريار...

حان الوقتُ

لأغير هويتَك القديمة

وأنقلَك من خانةِ المرأة المعلَّبة

إلى خانةِ (التوليب) . .

و (الغاردينيا) . .

حان الوقتُ

لتتحولي من سجادةٍ تبريزية

تداسُ بالدنانير . . والنعال . .

إلى جزيرةٍ من الضوءِ والكبرياء

لا توصلُ إليها طيور البحر
ولا مراكبُ القراصنة . . .

أريد أن أخلصَك
من مضاجعةِ الخلفاءِ غير الراشدين . . .
ابتداءً من الحاكمِ بأمر الله . .
إلى الحاكمِ بأمر النهد . .
إلى المقتدرِ . .
إلى المنتصرِ . . إلى المتوكِّل . .
إلى المعتصمِ بزنانيرِ النساء . .
حتى آخرَ امرأة
دونَ السادسة عشرة ! ! . .

أريد أن أسحبَك كالتفاحة
من بينِ تماسيحِ البحر الأحمر . .
وحيواناتِ (كليلة ودمنة) ! !



أريد أن أنقذَك
من ديناصورات ما قبلَ التاريخ
التي هربت من متحفِ التاريخِ الطبيعي
ودخلتْ المدنَ العربيهْ
لتقرقشَ عظامَ النساء كقطع البسكويت
وتشربَ دماءَهن كالعرقِ اللبناني
أريد أن أنقذَك
من (جمعيةِ الجزارين المتحدة)
التي يرأسُ مجلس إدارتِها
المدعو : عبدُ السريرِ النسونجي ! !

* * *

أ: حبك وأقفل القوس

لا أستطيعُ أن أحبَّك أكثر . .
لقد كتبتُ بالخطِّ الكوفي
على أسوارِ الحمّام
وأباريقِ النحاسِ الدمشقي
وقناديلِ السيدةِ زينب
وجوامعِ الآستانه
وقبابِ غرناطه
وعلى الصفحةِ الأولى من الإنشاد .
وأقفلتُ القوسَ . . .

أنتَ عادةً كتابيةٌ لا شفاءَ منها .
عادة احتلالٍ ، وتملك ، واستيطان .
عادة فتح ، وفتكٍ ، وبربرية .
أنت عادةٌ مشرشة في لحمِ كلماتي .



فاما أن تسافري أنتِ . .
واما أن أسافرُ أنا . .
واما أن تسافرُ الكتابهْ . .

جمالُك . .
يحرضُ ذاكرتي الثقافية .
ويكهربُ لغتي . .
وأصابعي . .
وجسدَ الورقة البيضاء . .
جمالُك . .
يشعلُ البروقَ في أثاث غرفتي
وشراشفِ سريري . .
ويربطُ أسلاكَ الرجوله
بيني وبين نونِ النسوه . .
وتاءاتِ التأنيث . .
فكيفَ أتحاشاك يا امرأه . . .

حتى القبح اذا اقترب منك
يصبحُ جميلا . . .

أنتِ اللغةُ التي
يتغيرُ عددُ أحرفِها ، كلَّ يوم .
وتتغيرُ جذورُها . .
ومشتقاتُها . .
وطريقةُ إعرابِها . .
كلَّ يومٍ . . .

أنت الكتابةُ السريهْ
التي لا يعرفُها
الا الراسخون في العشق . .
أنت الكلامُ الذي يغيرُ في كلِّ لحظة
كلامَه . . .

كلَّ نهارٍ
أتعلمَك عن ظهرِ قلب .
أتعلمُ خرائطَ أنوثتِك . .
وسيراميك خصرك . .
وموسيقى يديْك . .
وجميع أسمائِك الحُسنى
عن ظهرِ قلب . . .

كلَّ صباح أدرسُك
كما أدرسُ تفاصيلَ الوردة..
ورقةً.. ورقة..
تويجا.. تويجا..
وأذاكرُك كما أذاكر
كونشيرتو البيانو لموزارتْ
أو قصيدةَ غزلٍ
من العصرِ العباسي...

أيتها المرأةُ المعجونةُ بأنوثتِها
كفطيرةِ العسل.
والمعجونةُ بدمِ قصائدي
ودمِ شهواتي.
يا امرأة الدهشةِ المستمرة
يا التي بِدَاياتها تلغي نهاياتها
وأولُها يلغي آخرَها..
وشفتُها السفلى..
تأكل شفتَها العليا..

أيتها المرأةُ
التي تتركني مُعَلَّقا
بين الهاويةِ و الهاوية..
أيتها المرأةُ – المأزقُ
أيتها المرأةُ – الدراما

أيتها المرأة – الجنونُ
أخافُ أن أحبَّك..

❋ ❋ ❋

لا تاريخ قبل عينيكِ

عندما كنتُ أسكن في جنيف
لم تكنْ تبهرني الساعاتُ السويسرية
المطعَّمة بالحجارةِ الكريمة.
ولم أكن معجَبا باللافتاتِ التي تقول:
((نحن نصنعُ الزمن)).
متى يعرفَ صانعو الساعاتِ، يا حبيبتي
أن عينيْك وحدَهما
هما اللتان تصنعانِ الوقتَ
وترسمان خرائطَ الزمن؟..

عندما كنت أذهبُ إلى موعدك

في لندن ،
أو في باريس ،
أو في البندقية ،
أو على شواطىءِ البحرِ الكاريبي.
لم يكن للوقتِ شكل..
ولا للايامِ أسماء..
ولا للتاريخِ تاريخ..
كان التاريخُ مجردَ ورقةٍ بيضاء
تكتبين فيها أيَّ كلامٍ تشائين..
في الوقتِ الذي تشائين..

عندما كنتُ ألبس معطفَ المطر
وألبسُك تحتَ معطفِ المطر..
كان الوقتُ يتشكلُ على مقاييس أنوثتِك.
فمرةً ، يأخذ شَكْلَ قدميك الصغيرتين..
ومرةً ، شكلَ أصابعكِ المشغولةِ بالدانتيلا..



ومرةً ، شكلَ خواتمك..
ومرة ، شكلَ حلقِك الإسباني..
ومرةً ، يأخذ شكلَ دهشتي
وحجمَ جنوني...

قبل أن تصبحي حبيبتي
كان هناك أكثرُ من تقويم
لحسابِ الزمن..
كان للهنودِ تقويمُهم.
وللصينيين تقويمُهم.
وللفرسِ تقويمُهم.
وللمصريين تقويمُهم.

بعد أن صرتِ حبيبتي..
صار الناسُ يقولون:
السنةُ الألف (قبلَ) عينيها..

والقرنُ العاشر
(بعدَ) عينيها!!.

لا يهمني
أن أعرفَ ما هي الساعةُ في نيويورك
ولا ما هي الساعةُ في طوكيو
أو في تايلاند.
أو في طاشقند.
أو في جزر الكناري.
فعندما أكونُ معك..
ينعجن الزمنُ ببعضه
وينعجنُ صلصالي
بحرارةِ مناطقِك الاستوائية..

لا أريدُ.. أن أعرفَ شيئا عن تاريخ ولادتك،
ولا عن مكانِ ولادتك ، ولا عن تفاصيلِ طفولتِك..

ومراهقتِك..
فأنت امرأةٌ من فصيلة الورود
وأنا لا أسمح لنفسي
بالتدخل في حياة وردة...

علمتني شتاءاتُ لندن
أن أحبَّ مشتقات اللون الأصفر.
وأن أتحمسَ لشحوبِك الجميل..
وهدوئِك الجميل..
ودشداشتِك المغربيةِ السوداء..
وعينيْك المسكونتيْن
بأسئلةِ الشعر...

في شتاءاتِ لندن
يصير صوتُك رماديا..
وكلامي رماديا..

وبريد الحبِّ رماديا...

لماذا؟
إذا التصقتْ يداي بيديك
يومَ الأحد.. تقرعُ على الفور
أجراسُ جميعِ الكنائس في العالم؟؟

لا يمكنُ توقيتُك.. أو تعريفُك..
أو تصنيفُك.. أو تصويرُك كباقي النساء
أنت فراشةٌ خرافية.. تطيرُ خارجَ الأزمنة...

كلُّ الساعاتِ الثمينة.. التي اقتنيتُها قبلَ أن أحبك
توقفتْ عن العمل.. ولم يبقَ في يديَّ
إلا ساعةُ حُبك!!.

***